مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 12 العدد: 03 السنة 2020 ص 584 - 598

تاريخ الإرسال: 2020/01/17 تاريخ النشر : 2020/02/02
تاريخ القبول: 2020/07/02

السرد والوصف في الشعر الشعبي (أنا مدّاح للرسول) للشاعر ولد سيدي الحاج1

Narration and description in popular poetry "I am the Messenger praiser" by the poet Ouald Sidi El-Hadj

الأستاذة حينوني الزهرة[1]
جامعة (غرداية) hinounizohra@gmail.com
[2] د.أحمد حفيدي
المركز الجامعي(تامنغست) h00001971@yahoo.fr

الملخص

يتناول هذا المقال إشكالية الأدب الشعبي ومدى استجابته للأنماط التعبيرية اللغوية من حيث سرديتها ووصفيتها ومدى توافر الخصائص التعبيرية باعتبار أن الأدب الشعبي هو أدب اجتماعي بالدرجة الأولى، فحاولنا من خلال هذه القصيدة التي هي بمثابة المسار الذي ترسمه قوافل الحجيج انطلاقا من أقبلي منشأ الشاعر وداره؛ وصولاً إلى بيت الله الحرام وتأدية المناسك، فصغنا إشكالية هذا المقال كالآتي: إلى أي مدى قد وفق الشاعر الشعبي في نقل مشاعره وهو يمزج التجربة بالسرد والوصف؟ وهل الوصف المادي والمعنوي في الشعر الشعبي كشف عن مكنونات الشاعر المعنوية؟ وللإجابة على هذه الإشكالية كانت مقاربتنا المنهجية مبنية على التحليل الوصفي؛ مستعينين بالمنهج السيميائي.

المؤلف المرسل : حينوني الزهرة hinounizohra@gmail.com

الكلمات المفتاحية : سرد، وصف، شعبي، شعر .مداح .رسول.سيدي. حاج.

Abstract;

This article discusses the problem of popular literature, the extent of its response to patterns of linguistic expression in terms of narrative and descriptions, and the availability of expressive characteristics, given that popular literature is primarily literature social, we therefore tried through this poem which is the path that the caravans of pilgrims represent of the tribe of the origin of the poet and his house; At the Sacred House of God and at the performance of rituals We listened to the problematic of this article as follows: To what extent has the popular poet agreed to transmit his feelings when he mixes experience with narration and description? Has the material description of popular poetry revealed the poet's intrinsic morality? To answer this problem, our methodological approach was based on a descriptive analysis, using the semiotic approach.

Keywords :narration,description,poetry,praiser,messenger,sidi,l hadj.

1 .مقدمة:

يعتبر الشعر الشعبي أو العامي من الروافد اللغوية للثقافة الشعبية التي تزخر بها منطقة الجنوب الجزائري، والتي لم تول اهتماما ورعاية من الدارسين، فلذا هذه الورقة البحثية تقارب بين ما وصلت إليه المناهج النقدية الحديثة من منح قراءات مفتوحة للنص الأدبي بشكليه الفصيح والعامي، وما بدعته الذاكرة الإنسانية، فكان الشاعر ولد سيدي الحاج مركز الدراسة بقصيدته الموسومة بعنوان "أنا مدّاح للرسول" هذه القصيدة التي تجمع بين الشوق والحنين إلى زيارة قبر المصطفى الحبيب، وبين أدب الرحلة، والتصوف من جهة أخرى، بلغة شعبية جمعت ثقافة البيئة التي أنتج

فيها النص، ومدى تعلقها بشيم وخلال الرسول – صل الله عليه وسلم– واصفا تلك المقامات وصفا ممزوجا بالسّرد الحكائي، وكأنك تشاركه الرحلة بكيانك منزلا منزلًا، ومكانا مكانًا، وهذا يبرز مدى قدرة الشاعر الإبداعية، ووصف يحكمه دون رؤية المكان، وبعيد عن حدود الزمان، لأنه اشتاق إلى رسول الله – صل الله عليه وسلم– والشوق للرسول مطلوب، فعبر عن ذلك بجمال القصيد وروعة الوصف قائلا:

أنَا مدّاحْ للرّسُول والغَيْر ألّا يَكَفْ عَنِي ** يَسْتَاهَلْ فَيْه مَا نْقُولْ يَاسَادَتِي بِه وَنِّي." [2]

وقد ورد في مناسبة هذا النص أن الشاعر" كان ذات مرة بأرض أدرار حاليا" وبينما هو يسير في إحدى الطرقات ؛ صادف امرأتين، فقالت إحداهما للأخرى "اسلكي إنه مجرد مديديح*" فسمع مقولتها فأنشأ يقول:

أنَا مدّاحْ للرّسُول والغَيْر ألّا يَكَفْ عَنِي ** يَسْتَاهَلْ فَيْه مَا نْقُولْ يَا سَادَتِي بِه وَنِّي."[3]

2.السّرد الشعري في أنا مدّاح للرسول:

1/2ـ السرد (La narration) لغة:

السّرد في اللغة هو" تَقدِمة شيّء إلى شيء تأتي به متَّسقًا بعضه في أثر بعض متتابعا.وسرد الحديث يَسْرُدهُ سَردًا إذا تابعه، ويقال: فلان يَسْرُدُ الحَديثَ سرْدًا إذا كان حسن السّياق له، وسرد القرآن: تابع قراءته في حذر منه، والسّرد المتتابع"[4].

فالسّرد عند ابن منظور يعني التتابع والتناسق أي حسن السّياق، أما في معجم الوسيط فإن السّرد من " سرد الحديث : أتى به على ولاء جيد السّياق "[5]، وهذا المعنى أيضا ورد في معجم مختار الصحاح " ففلان يسرد الحديث إذا كان جيد السياق له"[6].

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة فإن سَرد يسردُ سَردا فهو سارد والمفعول مسْرود... وسَرد الشيءَ: تابعه ووالاه سَر الصوم، وسرد الحديث رواه وعرضه، قص دقائقه وحقائقه، وسرد القصة ونحوها، سرد أخبارًا، وقائع تاريخيًا ... وسّردية مصدر

صناعي من سَرد مباشرة في الكتابة والتتابع في الحكاية أو الرواية"[7]؛ وهذه المفاهيم اللغوية للسّرد كلّها متعانقة متقاربة في معانيها، دالة على أن السّرد هو عملية انجازيه للمسرود، تقع بشكل متتابع ومتناسق.

2/2 ــ السّرد في الاصطلاح:

لا يكاد ينفلت السّرد من هذا المفهوم إذ يعد أداة للتعبير الإنساني، ينبع كأسلوب من أساليب القصص والروايات وكتابة الشعر والمسرحيات وغيرها من الأغراض التي يكون السّرد وسيلتها الأساسية، فالسّرد " هو المصطلح العام الذي يشتمل على قص حدث أو أحداث أو خبر أو أخبار سواء أكان ذلك من صميم الحقيقة أم من ابتكار الخيال." [8] مع مراعاة القاص إثارة المتعة الفنية للمتلقي.

فالسّرد هو "طريقة الرّاوي في الحكي أي في تقديم الحكاية ، والحكاية هي أولًا: سلسلة من الأحداث "9 وهنا يشير السّرد إلي الطريقة التي يتم عن طريقها فعل الحكي، وهذا يبين أن السّرد يمثل الطريقة التي يختارها الراوي أو القاص لتقديم الوقائع المعبر عنها.

وحسب رؤية حميد لحمداني فإن الحكي يقوم على دعامتين أساسيتين:

أولاهما: أن يحتوي على قصة مّا، تضم أحداثا معينة.

وثانيتها: أن يعين الطريقة التي تروى أو تحكى بها تلك القصة، وتسمى هذه الطريقة سردًا"[10]، وهو بذلك يركز على الطريقة التي تروي أو تحكي بها القصة لتحدد عنده مفهوم السّرد، وهذا يرجع لعناصر العملية السردية، فالحكي "هو بالضرورة قصة محكية بِفْتَرِضْ وجود شخص يحكي، وشخص يُحكى له، أي وجود تواصل بين طرف أول يدعى راويا أو ساردا Narrateur وطرف ثانٍ يدعى مرويا لهُ أو قارئًا Narrataire "[11].

فالسّرد هو الطريقة أو الكيفية التي تروى بها القصة عن طريق هذه القناة نفسها، وما تخضع له من مؤثرات بعضها متعلق بالراوي والمروي له، والبعض الآخر متعلق بالمروي القصة.

3/2 ـ السرد في أنا مدّاح للرسول.

فالشاعر ولد سيدي الحاج يرسم لنا تلك الأحداث المرافقة لرحلة الحجيج، انطلاقا من أقبلي موطنه ومسقط رأسه بحي الزاوية رحبة الحجاج وصولا إلى البيت الحرام، تلك الرحلة الروحانية الممزوجة بالعشق إلى سيد الخلق وإلى مقامه، فوصف تلك الأمكنة وتلك المسارات والمزارات دون أن يقف عليها، وقد كان جدّه الشيخ سيدي مَحمد أبو نعامة المعروف بشيخ الركب" يترأس وفد الحج من توات إلي الديار المقدسة، وكانت المحطة الأولى التي يجتمع فيها الحجاج وينطلقون منها هي قصر أقبلي زاوية الشيخ أبي نعامة"[12]. وهذا ما أكده عبد الرحمان بن عمر التنلاني في الرحلة الرابعة حيث يقول: "ثم رحلنا لزاوية أبي نعامة نفعنا الله به وزرناه وهو الذي أحيا سنة الحج من بلاد توات وبلاد التكرور فأقمنا بها أربعة أيام واستأجرنا بها دليلا من الطوارق اسمه تكمن، ثم قمنا متوجهين لعين صالح وأخذنا طريق الغابة"[13]، فهو يذكر في أكثر من ومقام وقصيدة مطلق ركب الحجيج من قصره أقبلي:

مَنْ صَابْ الّلِي لَيْه غَادِيْ مَنْ قَصْر أَقَبْلِي بَلادِي
مَتْمُونَكْ بِحْمُـولْ زَادِيْ أَهْـلِى وَقْتَ يَسِفْــطُونِي
يَبْقَى مِنَ الْهِيْه غَادِي تَيْـطَ الغَابَة عَلى يْمِيْنِي [14]

فمنطلق الحجيج من قصر أقبلى يعتبر الدرجة الصفر في السرد منه يتحدد ما قبل وما بعد، فالشاعر بعد ما استوقفه الوصف المعنوي، وصف للحالة النفسية التي كلها شوق وحنين إلى زيارة قبر المصطفى، ينطلق ليبرز لنا المقامات السردية فمن خلال حرف الجر يبرز بداية الغاية الزمانية والمكانية، في حين ضمير الهاء

في إليه يعود على المرغوب في الوصول إليه ،وهو قبر المصطفى ،مارا بالغابة التي يتركها عن يساره مع حي تيط الذي يتركه عن يمينه، متوجها إلي الشّمال في صحراء جرداء بها الكثبان الرملية يحاكي الحجيج أينما ساروا.

مَنْزَلْ لرْكَابْ في إنْ صَالَحْ* مَعْرُوْفُ شَقْها بَطَايَـــــحْ
عَشْرَة فَوْقَ الشَّهَرْ أوُ رَايَحْ مَغْرَمْ مَرْزَقْ* قَدِيْـــم زَمْنِـي
سِوَالِيهَا القَّلْـب فَـارحْ أَرْض الرُّهْبَـان شَــقْ مَنّـــــي [15]

لتتواصل البنيات الحكائية المتغيرة بتغير الأمكنة، فهو الآن ينزل بعين صالح بمنزل لركاب، في هذه المدينة التي كانت معبرا للحجيج؛ بها مكانا إلى اليوم يسمى "بحفرة الركب" بحي أقبور، ينزل بها الحجيج، ومنها ينطلقون، معروفة في منطقة تيديكلت تحفها البطاح والأراضى الشاسعة، لينطلقوا منها وصولا إلى مرزق بليبيا في مدة تدوم شهر وعشرة أيام أو أكثر من ذلك، وغالبا ما تكون انطلاقتهم في شهر رجب الفرد، وهذا المكان معهود ومعروف منذ القدم، وكيف لا يطرب القلب وترف أجنحته وهو متجها نحو الحبيب المصطفى ـ صل الله عليه وسلم ـ وأرض الرهبان تحده يمينا وشمالا ويواصل الحكي بالتغير المكاني:

الدَّار الحمـراءَ انْـزلنَا لِيْهُـوديا مَـا شَـرَبْـــنا
لاَ هَوْنُ وَلَا هَوْن بِيْنَا سَهْرَانْ وَلَا طَرَحَتْ جَفْنِي
الدَّرْب نَخَافْ مِنَ الخَوْنَا لَحْرَيْمِيَةُ تَدُوْر مَنِـي16

فالأفعال أو الأحداث التي يقوم بها الفواعل، والتي تدفعه بأن يضطلع بدور ما في الفعل، تتعانق مع أزمة الأفعال الماضية شربنا، سهران، طرحت، نخاف، والتي تحيل على الفضاء أو المكان الذي تقوم فيه، أما الأفعال المضارعة فتحيل إلى الآنية والاستمرارية على السواء، فوصوله للدار الحمراء دلالة على تحقيق منجز، وابتهاج بتطلع للراحة بعد تعب، وبعد مسير أيام متوالية وقد وصل للدّار الحمراء بمصر،

والحجيج وشكان يعبرون النهر للضفة الثانية، وعلى الرغم من التعب والسّهر لعدة ليالي إلا أن النوم لا يطاوعه، لافتقار الآمان، في الطريق والمكان، الدّرب نخاف من الخونة، ولحريمة تدور مني، وهذا ما سنوضحه اكثر في مقام الوصف، ليستمر في سرد أحداث السفر قائلا:

مَزْيَـن عِنْـدِي نَهَارْ مَصَـر نَوصَلْ مَكَـة لبَيَتْ الأَزْهَـرْ
الحَسَنَيْن فِيْـه نَنْضَـــرْ وَيْقُـــومْ العَسْكَـــرْ يَـدَنْـــــي
بِمَحْمَـل بَانْفَاضُـــو تَتْكَـــرْكَرْ وَ لْبَاسَ الكَعْبَـة امَعَنِي .17

فضمير المتكلم الحاضر في الخطاب السّردي يجعل من الشاعر هو الراوي، محددا زاوية نظره للأحداث، فهو مطلع على مكان التوقف، ومكان الزيارة، ومهيمن على حركة الشخصيات في مسارها إلى بيت الله، راسما خريطة واضحة المعالم، فبعد الدار الحمراء بمصر، يقف الشاعر على بيت الأزهر بمصر وهو معهود بالزيارة، ويلتقى فيه ركب الحجيج بعلمائه، وهذا ما يوضحه في قصيدة أخرى قائلًا:

في مَصَر انْصِيَبْ نَوبَة فِي جَامَـــع الأَزْهَار
مِـــنْ مَصَرْ يَنْقَـــادْ العَسْكَر وَالدَّرَبْ يَكَـرْكَر
وَاتْحَـــادِيْه انْفَـــاضْ تَزْهَـــرْ واتْحَادِيْه افْنَارْ.[18]

فالزيارة إلى جامع الأزهر، وإلى قبر الحسنين ومن هناك ينقاد العسكر متجها نحو مكة المكرمة مرورا برابع منطقة الإحرام، وما يشير له الشاعر هو أن العسكر مكلف بحمل وحماية لباس الكعبة الذي كان ينسج بمصر.

الَّا تَطْلَعْ على العَقْبَة يَظْهَر لِي نُوْر دَايَرْ قُبَة
قَبْلَ المَدِيْنَة يَتْرِبَى رَابَغْ نَتْنَظَـــفْ أوُ نَتْـــنِي
مَكَة زَمْزَم شَرَبَتْ شَرْبَةْ نَطْهَرْ وَالذَّنَبْ خَفْ عَنِي[19]

ويتزايد شوق الشاعر وحنينه للكعبة الشريفة، وبهجة النور التي تبهره بمجرد صعود المرتفع أين يتجلى لك نور الكعبة الشريفة، ليلبس لباس الإحرام بعد أن يتطهـر ويثني على النبي ـ صل الله عليه وسلم ـ وما هي إلا سرعة الشوق تأخذ بالشاعر إلى الطواف والشرب من ماء زمزم، ذلك الماء الطاهر العذب، يشرب منه شربة على المفعولية المطلقة، يتطهر بها من كل الآثام والذنوب.

انـزُورْ الكَّعَبَة الشَّرِيْفَة وَنْهَرْوَل مَشْيَة خَفِيْــفَة
للسَّعْي وَلَا بَقَاتْ كَلْفَة جَبَلْ عَرْفَة انْحَطْ حَزْنِي
نَهْبَطْ وَنْرُوحْ مُزْدَلِفَة وَنْضَحُوا فِي مِنَى وَبَزْنِي[20]

ويدخل الشاعر في سرد المناسك منسكاً منسكًا، فبعد الطواف والشرب من ماء زمزم ينتقل للسّعي بين الصفاء والمروة، مذكرا بالسنة وهي الهرولة في أشواط السعي، والتي تكون بالمشي مشيا خفيفا، حتى تسقط عنه الأوزار، وبعدها في اليوم التاسع يوم التروية بخرج الحجيج إلى جبل عرفة للوقوف بعرفة، أين يحط الأحزان ويحصل الحج، ثم يهبط متجها نحو مزدلفة، التي يلتمس منها حصيات الرمي، ومنها إلى منى أين يتم رمي الجمرات، وتتم التضحية، كل هذا في جو رباني حيث يقول:

نَرْمُوا لَحْجَارْ بَلَعْدَادْ سَبْعَة مَا فَوْقَها ازْيَادْ
أَنْطُوفْ وَنْوَدَّعْ لَسْيَادْ نَشَّوَقْ شُوْر المَّدَانِيْ
مُحَمــدْ سَيّــدْ لَسْيَادْ انْزُورْ مَقَــامُوا يَزَّانِــي[21]

ويتوالى سرّد الأحداث والأفعال التي يقوم بها الحاج، فبعد رمي الأحجار السّبعة يطوف طواف الوداع، والشوق يجْزّبُه نحو المدينة، أين قبر النبي محمد سيد السّادات ـ صل الله عليه وسلم ـ فبزيارة قبره يبلغ المنى، ثم تتوالى الأحداث بزيارة أصحابه المجاورين له في القبر، والمحفوفين بشيسك مبني، ومن هناك يخرج لزيارة

البقيع أين دفن صحابة رسول الله ـ صل الله عليه وسلم ـ متمنيا أن يدفن هناك إذا صار لما صاروا إليه.

وَنْزُورْ أَصْحَابُوا الإِثْنَيْن هَادُوكْ اللِّي مَجَاوْرِين
فِـيْ الرَّوْضَة يَاسَّامْعِـيْن وَعَلَيْـهِم شَبَّيْك مَبْنِي
أَرْضَ البَّقِيْـع يَاحَنِيْـن أنْطَلْبَك يَاالله أَجْعَلْنِـــي.[22]

3. الوصف في" أنا مدّاح للرسول"

1/3ـ الوصف(description) لغة:

الوصف في اللغة هو من" وصَف الشيءَ له وعليه وصفًا وصفةً: حلاهُ، والهاء عوض من الواو، وقيل: الوصف المصدر والصفة الحِلْيَة، والوصف وصفك الشيء بِحليْته ونَعته وتواصَفُوا الشيءَ من الوصف...واتَصف الشيءَ:أمكن وصفه"[23]

فالوصف عند ابن منظور يعني إظهار النعت أو حلية الشيء أما في معجم الوسيط فإن الوصف من الفعل وصف أيّ " يَصِفُ وصفا ووصُوفا: أجاد السير وجدّ فيه، والشيء وصفا، وصفة نعته بما فيه والطبيب الدواء: عينه باسمه ومقداره"[24] وورد في معجم مختار الصحاح " وصف الشيءَ من باب وَعَد و(صِفَةٌ) أيضا. وتَوَاصَفُوا الشيءَ من الوَصْف. واتَّصَفَ الشيءُ صار مُتَوَاصِفًا."[25]

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة فإن وصفَ يَصف صِفْ وَصْفًا وصِفَةً فهو واصِفْ والمفعول مَوْصوف، وصف الشَّيءَ /وصف فلانًا نَعته بما فيه ... ووَصَف الخيرَ حكاه بالتفصيل، صوّره ذكره، ووصَف الثوب الجسمَ: أظهر حاله وبين هيئته"[26]

وهذه المفاهيم اللغوية للوصف كلّها تتقارب في معانيها، دالة على أن الوصف هو عملية يتم من خلالها إظهار حلية الموصوف وإبراز نعته بما فيه، وإظهار حالته وهيئته.

2/3ــ الوصف في الاصطلاح.

الوصف في الاصطلاح وإن كانت دلالته تدل على ما ذهب إليه قدامة بن جعفر في قوله: " الوصف إنّما هو ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات، ولما كان أكثر وصف الشعراء إنّما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني، كان أحسنهم من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها." [27]، ويذهب مجدي وهبة وكامل المهندس إلى المعنى ذاته حيث يعرف الوصف لأنه " إنشاء يراد به إعطاء صورة ذهنية عن مشهد أو شخص أو إحساس أو زمان للقاري أو المستمع، وفي العمل الأدبي يخلق الوصف البنية التي تجري فيها أحداث القصص".[28]

فالوصف باعتباره تقنية فنية يلجأ إليها القاص نثرا أو شعرا لغاية تشكيل نصوصه القصصية في هيئة نسيج قصصي يصعب الفصل بين أجزائه السّردية والوصفية رغم أن " الفرق يبدو واضحا بين الوصف والسّرد، فإن التمييز على المستوى العملي ليس بسيطا.هذا التدخل جعل " جيرار جينيت " يعكف على دراسة طبيعة كل من السّرد والوصف، وقد وجد أن القانون الذي يخضع له السرد يختلف عن ذلك الذي يخضع له الوصف، فإذا كان من الممكن الحصول على نصوص خالصة في الوصف فإنّه من العسير أن نجد سردًا خالصًا" [29] لا يخالطه وصف.

فالسّرد بالصيغ الفعلية يشكل أداة الحركة الزمنية في القص ، لكن الوصف يضفي طابع العمق والكشف عن الشخصيات والمكان، فلقد " أصبح الوصف الحامل الحقيقي لعمق إدراك الكاتب لعالمه الخاص؛ وللعالم بصفة عامة، وضمنيا أصبح معيارًا لقياس درجة سُمك وعمق إدراك الشخصيات لعالمه سواء على المستوى المعرفي أو الأيديولوجي"30، فالقاص يستخدم جميع التقنيات الوصفية من وصف ساكن ومتحرك، وداخلي وخارجي، لإعطاء الأبعاد الدلالية لشخصياته والأماكن،

فلذا نتبين العلاقة القائمة بين علاقة الوصف بالسرد، وعلاقة الوصف بالمكان من حيث الوظائف ودورها في التشكل السّردي عند الشاعر ولد سيدي الحاج.

3/3 ــ الوصف في أنا مدّاح للرسول.

فينطلق الشاعر من تلك المقدمة الوصفية، معبرا عن ذاته المضطربة، والتي يحركها الشوق إلى الحبيب محمد ـ صل الله عليه وسلم ـ وهي وقفة مشابهة إلى مقدمة الشعر الفصيح حيث يقول:

أنَا مدّاحْ للرّسُول والغَيْر ألّا يَكَفْ عَنِي ** يَسْتَاهَلْ فَيْه مَا نْقُولْ يَاسَادَتِي بِه وَنِّي."

مَـنِـي مَتْمَـنِـي نَغِيـبْ إلَّا لَـوْطَـانُـوا لَحْبِيـبْ
مَنْ صَابُو لَـيَّا قَرِيبْ وَنْشَاهَـدْ نُورُوا بَعَيْـنِي
بالحُـبْ جَوَارِحِي تَطِيـبْ رَجْـلَيَّا مَا يَوَصْـلُونِي
لَوْنُ كَرْبَال وَالجْبَال وَأمْثَلْهُـم مَـن أبْيَضْ وَأكْحَال
مَا يَرْبُوهُـم ألَّا الجَمَال فَوَلْ لَرْكَـابْ ايَعَجْبُـونِـي
مِنْيَة وَعْلَيْك بَالكْمَـال نَطْلَبْ يا خَالْقِـي اعَطِيْنِـي
نَطْلَبْ بِاللّـيْل وَالنْهَار نَطْلَـبْ بِالسّـر وَ لَجْهَارْ
نَجَّضَـعْ والقَّلَـبْ طَـار نَشَّـوَقْ مَا عَـادْ مَـنِّي
مَاطَارْ حَمَامْ مِنْ أوكَارْ مَا تَقَسّبْ رِيْشَ الجَنْحَانِي.31

فالشاعر انطلق من الوصف المادي للذات، مكشفا عن معانتها في بعدها عن سيد الخلق، متمنيا زيارته، لأن جوارحه كلها مشاتقة، ويرفض الغياب أو السفر لغير النبي، على الرغم من العجز لبعد المكان، وهذا الوصف يطلقه الشاعر من مكانه فهو ساكن غير متحرك، ويتوجه إلى وصف وسيلته للسفر ذلك الجمل الذي يصفه في أكثر من قصيدة فيصف لونه كربال يشبه اللون الأحمر المشرق أو يشبه

لون يخالط بياضه سواده، في بداية الرّكوب يعجبوه، وقد وصفه وصفا دقيقا في قصيدته (ربي ليك الحمد قدْ حمد اللّي حمده) قائلا:

سَهْل لَـيّ زَوْرَه عَلَى لَمْخَوَّلْ بُوفَـطْرَة يَقْـطَعْ فِي الهَّــدْرَة عَامْ سَرَّاحْ أُوبَيْدُوا

مَاهُو مَنْ لَقْصَارْ طَوِيلْ وَافِي كَالكَّيْدَار نَابُوا كَالْمَنْشَارْ يَعْجَبْنِي حَسَّ بَرِيْدُوا[32]

فوصف الفرس أو الناقة هو من هيكل القصيدة الشعرية القديمة، لذا الشاعر يحاكي القصيدة القديمة في بنائها فالمطلع والمقدمة أساسهما الوصف.

ومع انطلاق الرحلة كما مرّ بنا نجد الشاعر يسهب في وصف الأمكنة لما لها من دور في سيرورة الحكي، على الرغم من أن الوصف عند النقاد يعنى "عادة انقطاع السّيرورة الزّمنية ويعطل حركتها نتيجة توقفات معينة يحدثها الرّاوي بسبب لجوئه إلى الوصف، إذا أنّ الرّاوي عندما يشرع في الوصف بعلّق بصفة وقتيّة تسلسل أحداث الحكاية أو يرى من الصالح قبل الشروع في سرد ما بحصل للشّخصيّات توفير معلومات عن الإطار الذي ستدور فيه الأحداث"[33].

فيصف الشاعر وصفا متحركا مصاحبا للرحلة مما يجعل وصفه ممتزجا بالسرد لأنه يتأمل بنفسه وهو يسرد لنا تلك الأحداث انطلاقا من أقبلي ،إن صالح ، مرزق، الدار الحمراء، مصر، رابغ، مكة، عرفة، مزدلفة، منى، زيارة قبر الحبيب المصطفى بالمدينة) كل هذه الأماكن وما صحابه فيها من أحداث قد وصفها وصفا دقيقا إلى أن بلغ آخر القصيدة، الذي كان كلّه توسل ودعاء واصوف حيث يقول:

لَا تَقْبَضْـنِي بَالذَّنُوبْ وَاسْتَر لِـيّ جَمْــعَ لَعْيُوبْ

فَاجِي هَمِّي مَعَ لَكْرُوبْ مِنْ بَحْر التَّوْبَة اسْقِيْنِي

يَا مَـنْ فَاجَيـتْ عَلَى أَيُوبْ فَاجِي هَمِّي وَلَا تَبْلِيْنِي

وَارْزَقْنِّـــي حُسْنَ الخِـتَامْ يَومَ اللّـيّ يَعْــيَا لَكْلامْ

نَــرْحَلْ وَلَا شِي أَمْــقَامْ بَــرَا عَنْهُم ابِيَعْــدُونِـــي

فِي بَيَتْ مَظَلَّمْ تَظْلامْ كَيَفْ اللِّي مَا يَعَرْفُونِـــي.

4. خاتمة:

من خلال هذه الدراسة التي وقفنا فيها على السرد والصف في فنّ الشعر الشعبي لاعتباره رافدا من روافد الثقافة الإنسانية، وممثلا للبيئة الصحراوية في تلك الرحلة الربانية، والتي كلّها شوق من الشاعر وحنين لزيارة قبر الحبيب محمد ـصل الله عليه وسلم ـ فخلصنا إلى أن الوصف لا ينفصل عن السّرد وإنّما هما متعانقان متكاملان، فرسم تلك الرحلة الصوفية إلى البيت الحرام، وما يلازمها من مشاق رغم بعد المسافة إلا أننا نجد قلوب الذاهبين لا تنظر للوراء، وإنما الهدف هو الذي يجذب السّاعين إليه، فهي بمثابة الخارطة التي يهتدي بها الحاج مكانا، امتزجت فيه التجربة الصادقة على الراجح أن الواصف لم بحج وإنّما الشوق والحب هو من شكل هذا الإبداع الفني.

5. المراجع:

[1].ولد سيدي الحاج هو سيدي محمد بن محمد الحاج بن سيدي مَحمد أبي نعامة ولد حوالي 1170 هـ الموافق لـ1824 م نشأ في زاوية جده، فيها أخذ العلم، وفهل نهل من المعين الصوفي، تميز بقريض الشعر الشعبي الصوفي فشعر على الرسول–صلى الله عليه وسلم – حتى عرف بشاعر الرسول توفى سنة 1253 هـ الموافق لـ1907 مـ عن عمر ناهز الثلاثة والثمانين سنة.

[2]. مطلع قصيدة الشاعر (أنا مدّاح للرسول) محور الدراسة منقول سماعا

* مديديح تصغير لكلمة مدّاح أي من يقول فن المدح ويحسنه.

[3]. عزيز عقباوي، النفحات البهية في أفنان الشجرة الكنتية، دار الهدى ،عين أمليلة الجزائر، طبعة منقحة، 2016 ص175، وانظر أيضا عبد المجيد قدي، صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة، ص134 /133

[4]. ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث، مادة سرد، ص211.

[5].مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، ص4266.

[6]. فخر الرازي، معجم مختار الصحاح، مادة سرد، دار المنار، ط.ج، ص148.

[7].أحمد مختار عمر، وفريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الأول، مادة سرد، عالم الكتب، ط 1، 2008، ص1055.

[8]. مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص198.

[9]. صالح إبراهيم، الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمان منيف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2003، ص124.

[10].حميد لحميداني، بنية النص السّردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط1 ،1991، ص45.

[11]. المرجع نفسه، ص 45.

[12]. محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج2،المعرفة الدولية، الجزائر، 2015، ص541.

[13]. محمد باي بلعالم، الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني، دار هومة، الجزائر، 2004، د.ط، ص62.

[14]. غادي: ذاهب، متمونك: مُحَمَّل بالخير الكثير، يسفطوني: يرسلوني، تيط: بلدية تقع شرق بلدية أقبلي وتبعد عن والولاية أدرار بـ 290 كم2.

* عين صالح أو إن صالح تعود للسّماع هكذا نطقت.

*مرزق: مكان بليبيا يحط به الحجيج رحالهم للاستراحة.

[15]. ولد سيد لحاج، أنا مدّاح للرسول" المدونة.

[16]. ولد سيد الحاج، المصدر السّابق.

[17]. ولد سيد الحاج، أطلق يا ربي سراحي للنبي المختار.

[18]. ولد سيد لحاج،أنا مدّاح للرسول" المدونة.

[19]. المصدر نفسه.

[20]. المصدر نفسه.

[21]. المصدر نفسه، يـزاني: بمعى يكفيني

[22]. المصدر نفسه.

[23]. ابن منظور، لسان العرب، المجلد التاسع، حرف الفاء، مادة (و.ص.ف)، ص356.

[24]. مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط.

[25]. فخر الرازي، معجم مختار الصحاح، مادة وصف، ص326.

[26]. أحمد مختار عمر، وفريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الثالث، مادة وصف، 2008، ص2448.

[27]. قدامة بن جعفر، نقد الشعر، المطبعة المليحية، القاهرة ، 1935، ص70.

[28]. مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص433.

[29]. حميد لحميداني، بنية النص السردي، ص75.

[30]. عبد اللطيف محفوظ، وظيفة الوصف في الرواية، الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009 ،ص13.

[31]. ولد سيد لحاج، "أنا مدّاح للرسول" المدونة.

[32]. ولد سيد لحاج، (ربي ليك الحمد قدْ حمد اللّي حمده).

[33]. جميل شاكر وسمير المرزوقي، مدخل إلى نظرية القصة، ديوان المطبوعات الجامعية، الدار التونسية للنشر، 1985، ص50